القراءة بين الترهيب والترغيب

إعـــــداد

أ.د/ كمال الدين حسين

أستاذ الأدب الشعبي

كلية رياض الأطفال – جامعة القاهرة

مجلة رعاية وتنمية الطفولة (دورية – علمية – متخصصه - محكمة)

يصدرها مركز رعاية وتنمية الطفولة – جامعة المنصورة

العدد الثانى عشر - ٢٠١٤م

القراءة بين الترهيب والترغيب

اعداد

أ. د/ كمال الدين حسين
أستاذ الأدب الشعبي
كلية رياض الأطفال – جامعة القاهرة

تقديم

سأحاول في هذه الورقة الإجابة على بعض التساؤلات المرتبطة بالاتجاهات نحو القراءة، ولكن قبل ذلك أود توضيح القصد من العنوان ، أما المقصود بالترهيب فهو إجبار الطفل على القراءة بالتهديد أو بالوعود المعسولة ، وسط مناخ لا يساعد على تحقيقها ، واتجاهات لا تؤمن بصدق بأهمية القراءة . مع توفر النوايا الطيبة، ولكن ، هل تصلح النوايا فقط ما أ فسده العطار ؟

أما الترغيب، فهو السعي لخلق مناخ ومادة مشوقة جاذبة لفعل القراءة ، وجعل القراءة في ذاتها هدفها مرغوبا من الكبار والصغار .

أما التساؤلات التي سنحاول التعرف عليها معا من هذه الورقة فترتبط، بأسباب عزوف الأطفال عن القراءة ،وأهمية القراءة ، وما هي الشروط اللازمة لمناخ قرائي جيد .وقد تكون الأسئلة مكررة، ومملة من كثرة تناولها ، ولكن ما الذنب والأذن صماء ، والاتجاهات منصرفة لأمور أخرى ، قد تكون أهم والله اعلم .

وسنحاول معا في عجالة التعرف بداية عن الدوافع التي تجعلنا نهتم بالقراءة او لنسأل أنفسنا :

لماذا القراءة ولماذا أدب الطفل ؟

الأمر إذا يدعو للتساؤل، إن كانت كافة الموضوعات الإنسانية والآراء والأفكار التي تحاول أن تفسر عالم الإنسان وما يدور في ذهنه، و القوانين التي تحكم الإنسان في علاقته مع

الكون والبيئة والآخر، لا تقل أهمية عما يعرف بالأدب، وإن امتازت عليه بما تحتويه من حقائق متنوعة لا اختلاف عليها غالباً، فما السر وراء اختيار الإنسان كتاباً روائياً أو قصيدة شعرية ليقرأها ؟

تعددت الأسباب التي تكمن وراء الإجابة على هذا السؤال، فالإنسان قد يبحث عن الكتاب أو الإبداع الأدبى الذى يشعر بأنه سوف يحقق له نوع من المتعة فى المقام الأول، وإن جاء بعدها أشياء أخرى، فلا ضرار لأن الجائزة التى سيحصل عليها من القراءة ستكون مضاعفة، وبالتالى يكون مدخل الإنسان لاختيار الكتاب هو الرغبة فى الحصول على نوع من المتعة فى المقام الأول لكن إن لم يشعر بالمتعة فسيتركه مباشرة أو يرفضه تماماً.

كما تتعدد الاحتياجات التى يمكن إشباعها عن طريق قراءة الإبداعات الأدبية، مابين احتياجات معرفية، ونفسية، واجتماعية، وثقافية، وجمالية، وإشباعها يحقق الاتزان والمتعة، التى تعتبر المحصلة النهائية لكل ما يمكن أن يقدمه الأدب ، كما تجعلنا نشعر وندرك أهمية الإبداعات الأدبية فى حياتنا، بما تقدمه لنا من خبرات، قد تختلف فى مصداقياتها من شخص لآخر، إلا أنها فى النهاية تشكل نسقاً من الخبرات البديلة التى تحيل المستحيل ممكنا، فمن المستحيل على مستوى الواقع أن نعيش إلا حياتنا وزماننا ومكاننا، لكن الأدب يجعل هذا المستحيل ممكنا، فنعيش مرة فى قرية صغيرة على شاطئ نهر، وأخرى فى مركب للصيد، ثم نرتفع فوق قمم جبال الهمالايا، إن إمكانية أن نحى حياة الآخرين لا نهاية لها، وتتعدد بعدد الكتب الموجودة على أرفف المكتبات.

هذا هو الأدب، الذى يدفعنا للاستفادة مما يكتبه المبدعون. من أن نستمتع ونفهم، ونعايش رؤية أديب تضيف معناً جديداً لمعانى الحياة كما يختبرها، ،و يعيد تكوينها، ويجملها، ويصورها أمامنا لنفحصها ونفهمها. فهى خبرة بديلة للحياة، خبرة حياتية تختلف عن خبراتنا، لكن نجد فيها أنفسنا، بأحزاننا وأفراحنا، بأحلامنا وأوهامنا بطموحنا وإنجازنا، ونشبع من خلالها العديد من احتياجاتنا.

فما هو "الأدب" إذاً ..؟

المقصود "بالأدب" إذا كإبداع بين مجالات الإبداع الإنسانى، تلك الإبداعات التى تتوسل بالكلمة سواء أكانت شفهية أو مكتوبة، لنقل تجربة أو خبرة أو فكرة ما ، يتواصل بها المبدع مع المتلقى. الأدب إذا هو "فن التعبير بالكلمة" سواء أكانت كلمة شفهية أو مكتوبة أو مطبوعة، سواء أكانت الكلمة فى نص شعرى أو نثرى.

أدب الأطفال .. ماهو ؟!

وإذا قصد بأدب الأطفال فنون الكلام التى تقال وتقدم للأطفال بقصد توجيههم "فإنه بذلك قديم قدم التاريخ البشرى " فالاهتمام بالأدب المحكى – المروى- يشكل حالة ثابتة فى تاريخ الشعوب قاطبة، فالقصة على أنواعها احتلت على الدوام مكانة بارزة فى تراث كل الشعوب قديمها وحديثها، لما لها من وظائف هامة فى حياة هذه الشعوب، فهى وسيلة للتسلية، ومناسبة للقاء الجماعة، وتفاعلها وتوحدها فى مشاركة الاستماع للراوى، وهى وسيلة للهروب من معاناة الحاضر، ولزمانه، بسماع المدهش من الروايات والأخبار، وهى أخيراً وسيط لنقل التراث وتفسير المميز من ظواهر الكون، والمميز من عادات الجماعة معاييرها وخصائصها.

أما إن كان المقصود بأدب الأطفال "ذلك اللون الفنى الجديد الذى يلتزم بضوابط فنية ونفسية واجتماعية وتربوية ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة فى الوصول إلى الأطفال، فإنه فى هذه الحالة ما يزال من أحدث الفنون الأدبية.

يحتل أدب الأطفال بشكل عام مكان الصدارة بين كافة الوسائط المستخدمة فى تلقين الطفل ثقافة مجتمعه وأمته، وتشكل القنوات غير الرسمية التى تقدم للأطفال، خلال مادتها وشكلها وأنشطتها كل مايحتاجه من قيم، ونماذج، وتعاملات ، وتوجيهات صريحة، أو خفية، تؤثر على الأطفال من خلال وظائفها النفسية والاجتماعية والعاطفية والمعرفية والتى تساعد على النمو السوى للطفل نفسياً واجتماعياً وانفعالياً أو معرفياً، أما وسائط مخاطبة الطفل يحددها مصطفى حجازى فى:

- الوسائط المكتوبة ومنها أدب الأطفال، المجلات، القواميس، الأطلس، دوائر المعارف وكتب ومسلسلات السير والتراجم.
- وسائط مسموعة مرئية كالمسلسلات، والحكايات، والبرامج الترفيهية والتعليمية والتثقيفية، والوثائق والمغامرات .. إلخ التى تعرض فى الإذاعة والتليفزيون والمسرح.
- وسائط تربوية وألعاب وأنشطة حركية، ألعاب فكرية وألعاب استهلاكية أيضاً .

وإن أضيف إليها اليوم ما يقدم على "الحاسبات" من برامج وألعاب وقصص متنوعة، استفادت من امكانيات تطور علم الحاسب الالكترونى بشكل كبير.

ومع ذلك مازال كتاب الأطفال يحتل مكان الصدارة فى هذه الوسائط، حيث أنه الأسبق تاريخياً، وعالمياً وعربياً، كما أن الكتاب هو الأسهل إنتاجا والأقل تكلفة والأيسر تداولاً وأدب الأطفال هو أدب يتضمن كثير من القصدية والتعمد فى محتواه، من أجل خدمة المجتمع وتنشئته أجيال تساعد على خدمته بانتماءاتها الثقافية لهذا المجتمع ، وبذلك، يكون أدب الطفل، واحد من الدعامات الأساسية، التي تساعد على تكوين شخصية الطفل، بإسهاماتها في نموه العقلي، والنفسي، والاجتماعي، والانفعالي، واللغوي، وتطوير مدركاتهم، وإثراء حياتهم الناشئة بالشكل الذي يريده المجتمع ومن هنا يمكن القول بأن أدب الأطفال هو من أهم السبل التي تعتمد عليها الأمم في تنشئة الأجيال .

ماذا يقدم الأدب ؟؟

هل يقدم الأدب للإنسان المعرفة، هل يحقق له المتعة، هل يساعده على إجابة تلك التساؤلات الكبرى " ما يجب أن أعرف" ؟، من أنا" ماذا أتمنى ؟ تلك التساؤلات التي حددها الفيلسوف" كانت أم يقدم له كل ذلك؟

الأدب مصدر المتعة :

مما لاشك فيه أن الدافع الأول وراء القراءة للإبداعات الأدبية يكمن في البحث عن المتعة، فالهدف الأول لاختيار الكتاب هو "المتعة وليس من أجل البحث عن درساً أخلاقياً، أو

معلومة علمية" ، فالإنسان يختار ذلك الإبداع الذي يحقق له المتعة لكن هذا لا يمنع من أن يسعى لأشياء أخرى إذا تحققت كان خيرأن فالمتعة إذاً هي الدافع الأول لقراءة رواية أو قصيدة، ومهما كانت الدوافع للقراءة، فلابد وان يشعر القارئ بالمتعة الشخصية مما يقرأ سواءً أكانت متعة معرفية أو جمالية، يتساوى في هذا الكبار والصغار.

الأدب وسيلة لفهم الحياة :

هدفاً آخر يسعى الأدب لتحقيقه وتقديمه للإنسان وهو الفهم أو القدرة على الفهم الناتج عن اكتشاف الظروف الإنسانية، الفاعلة والمؤثرة فى حياة الإنسان، واكتشاف طبيعة الإنسان ذاته، والنوع الإنسانى فى عمومه. أن الوظيفة الأساسية للأدب أن يرصد ويعقب، أن يصور الإنسان وعالمه، فنلاحظه ونحاول أن نفهمه ونفهم مزاجه، وأسباب قلقه، وما يفرحه، وما يحزنه، وما هى طموحاته، هذا ما يقدمه الأدب حتى يمكن أن نفهم ذلك الإنسان. والحياة، وهذا واحد مما تقدمه الإبداعات الأدبية.

الأدب مصدراً لتوضيح الدوافع البشرية :

من المهم للإبداعات الأدبية أن تحقق ما يعرف بتوحد القارئ مع الشخصية أو شخصيات العمل، وهنا يأتي دور الاختيار الجيد الذي يقوم به الكاتب لتلك التفاصيل من ماضي الشخصية، ومن حاضرها، وإبداع العالم الخيالى الذى يعيشه البطل، ومن كل هذه الاختيارات يمكن أن يرى القارئ بوضوح دوافع الشخصيات للفعل. وعندما يرى القارئ بعض من هذه التفاصيل يتفق مع بعض من عالمه الذاتى، وحياته، فيتعاطف، ويتوحد معها، ويشعر بأنه يفهمها ويفهم دوافع الشخصية، وبالتالى يمكن أن يحدد مايجب أن يكون من فعلها، وأن يرى الخطأ الذى وقعت فيه الشخصية فى حكمها الذى جانبه الصواب، وبالتالى تنعكس هذه الرؤيا على القارئ الرافض لدوافع البطل، ويشجبها ويتملكه شعور بالشفقة على البطل ، الذى قد يؤدى إلى تعديل سلوك القارئ ذاته.

الأدب مصدراً للخبرات :

بعيداً عن الميلاد والموت .. تعتبر الحياة الحقيقية لا بداية ولا نهاية لها .. أنها عبارة عن سلسلة من الأحداث (الخبرات غير المنتظمة، وكل حدث أو خبرة منها يشكل قصة، وكل قصة

منها تؤثر وتتأثر بباقى القصص)، وهنا ياتى دور "الأدب" ليعمل من خلاله الخيال على إكساب هذه الفوضى الواقعية النظام، فينظم أحداث القصص ويخضع تأثيرها لمبدأ السبب والنتيجة، ويحدد لها البداية والنهاية، ويقدمها كخبرة كاملة تامة. ويحيل ما كنا نعتقد أنه خبرة تافهة لا قيمة لها، يحيلها الإبداع الأدبى إلى خبرة متكاملة ذات نظام، وهامة جداً فى حياة الفرد.

كما يعكس الأدب أيضاً كل تلك القواعد والنظم والمؤسسات فى المجتمع، والتى تؤثر على حياة الإنسان، ويجسد الأدب ردود أفعال الإنسان أمام هذه المؤسسات، كما يظهر المناخ المناسب الذى يتقبل به الأفراد هذه القيود، أو يصارعوها.

كما يصور الأدب أيضاً الظواهر الطبيعية كقوة مؤثرة فى حياة الإنسان ومن خلال تجسيد الإبداعات الأدبية للإنسان فى صراعه مع هذه القوى يجعلنا نرى ونفهم مدى تأثيرها على حياة الإنسان.

كما إن الأدب من خلال إمكانياته الإبداعية والخيالية التى تسمح للقارئ بان يتخطى حدوده الزمانية والمكانية وتجعله يعيش بوجدانه حياة الآخرين التى لا حدود لها، يقدم لهذا القارئ الإنسان، الخبرات المنظمة، فيقوى من قراره، ويقوده نحو مواجهة الواقع من خلال التوحد مع تلك الشخصيات لتى يلتقى بها، بعوالمهم، وبكلياتهم، فيتعرف عليهم وعلى طبيعة الانسان التى عايش خبراته ومعنى الحياة.

خصوصية أدب الأطفال :أو معايير تقويم ادب الطفل

عند الحديث عما يعرف بأدب الأطفال، يكون حديثاً فى المقام الأول عن جنس من الأجناس الأدبية، التى تسعى فى إجمالها لتقديم صورة أو صور من الحياة أو الواقع – مقصودة- ممزوجة بدرجة ما من الخيال، وخلال لغة تمتاز بحسن البيان والتشبيه والاستعارة ، قادرة على التأثير غير المباشر على متلقي ذو خصوصية وهو الطفل. بمعنى أن ما يعرف بأدب الأطفال يمتاز عن باقي هذه الأجناس بطبيعته الخاصة، التى ترتبط بمقصده أو مقاصده فى المقام الأول، وبطبيعة المتلقي الموجه إليه هذا النوع فى المقام الثاني، وجمالياته كجنس أدبي فى المقام الثالث.

أما من حيث المقصد، فأدب الأطفال فى الأغلب والأعم يحمل مقصداً تربوياً بالضرورة، يساعد فى تنشئة الأطفال معرفياً، اجتماعياً، وأخلاقياً، ونفسياً، وثقافياً من خلال ما يقدمه من خبرات ونماذج

أما المقام الثاني والذي يرتبط بطبيعة المتلقي، الذي يحتاج إلى خطاب ثقافى تتواصل به معه، بشكل مخالف لأساليب التواصل مع الراشدين اعتماداً على ما يعرف بخصائص المراحل العمرية الإنمائية، التى تحدد ما يمكن أن يتلقاه الطفل و يدركه اعتماداً على مستوى نموه العقلى وقدراته العقلية فى كل مرحلة عمريه، فالتلقى كما هو معروف حصيلة وعى وإدراك المتلقي، لما يتلقاه معرفياً وجمالياً، كما أن التلقي فى عمومه هو دربه ومران واكتساب، اى أن التلقى تربية عقلية كذلك.

الأمر الثانى والمرتبط بالمتلقى هنا، هو مستوى نموه اللغوى، والمستوى اللغوى الذى يجب أن تتواصل به معه الإبداعات الأدبية، فأياً كانت المرحلة العمرية، فلابد وأن تناسب اللغة التى يصاغ بها الإبداع الأدبي، مع المكتسبات اللغوية التي يخبرها الطفل، ويستطيع بها أن يفهم ما يروى عليه أو يقرأ له، والتي قد تختلف عن ذلك القاموس الذي يمكن أن يعبر به هو ذاته عن نفسه وأفكاره، فلكل طفل قاموسين لغويين، قاموس يفهم من خلاله مايقدم إليه ويختلف عن ذلك الذى يستخدمه فى تعاملاته اليومية، وفى التعبير عن نفسه وأفكاره.

أما المقام الثالث الذى يميز أدب الأطفال فهو الذي يرتبط بجماليات هذا الأدب وخصائصه الفنية .. وأولى هذه الخصائص مشاركته للإبداعات الأدبية بوجه عام فى تناوله العواطف والانفعالات البشرية التى تدور حول المخاوف والهموم التى تجيش بوجدان الإنسان، من كونه يعايش عالم لا يعرف كل أسراره، ولايستطيع أن يفهم كل القوانين التى تسيره، ومحاولاته الإحساس بالأمن والأمان والإطمئنان من خلال أحلامه وأمانيه. هذه الانفعالات والمشاعر التى تشكل ضعف الإنسان، هى ما تتناوله الإبداعات الأدبية عامة وأدب الأطفال خاصة .. فالبطل فى معظم أو كل هذه الحكايات يواجه وحده عالماً غريباً عليه لا يعرف كل أسراره، ولا يتمكن من السيطرة عليه، لكن بطهارته ونقاءه يحاول أن يحصل على الأمان والطمأنينة فى هذا العالم، فيخاطر ويغامر متسلحاً بالقيم والأعراف والمثل العليا، وكلما كان تمسكه بها كبيراً، كلما كان انتصاره محققاً.

وألان بعد أن تعرفنا سويا على ما هو أدب الاطفال ،وعلى أهمية القراءة ولماذا تصر المجتمعات المتقدمة علي أن تقرأ الناشئة بها ، سوف نحاول الإجابة على السؤال الثاني ، المرتبط بأسباب عزوف الأطفال عن القراء من ثلاث دراسات هي :

١- دراسة مع كتاب أدب الأطفال .

٢- دراسة حول إبداعات الأطفال.

٣- دراسة حول رأى الأطفال النقدي لما يقرءوه.

كيف يكتب الكتاب :

فى دراسة قامت بها مجموعة من طالبات الدراسات العليا في كلية رياض الأطفال – القاهرة ، على حوالي ١٥ كاتبا من كتاب الأطفال في مصر ، والذين تجاوزت شهرتهم إلى العالم العربي . للتعرف على الواقع الأدبي الذي نعيشه ، كانت النتائج كما يلي .

ذكر احد الكتاب المعروفين، انه يكتب لكل الأعمار ، وأن الفرق بين كتاب صغار الأطفال والكبار ، يأتي من اعتماد كتب الصغار على الصورة وعدد قليل من الكلمات ، وتكون أفكاره بسيطة عادة ، أما عن مصادر خبراته التي يكتب منها ، فهي تأتى من الأطفال الذين يلتقي بهم بصفة دورية .

وعندما يحدد الموضوعات التى تشغلهم ويكتب عنها ، نجد أنها موضوعات رسمية تعتبرها الحكومة مشاكل للطفولة، تؤسس لحلها المؤسسات الرسمية ، مثل دور الفتاة في المجتمع ، وعمالة الأطفال ، وأطفال الشوارع ، وغيرها من موضوعات رسمية نتاج للأزمات الاجتماعية والاقتصادية وليس للأطفال شأن بها ، وإن كانت تمس بعض فئات الأطفال ، وبالطبع لما كانت المؤسسات الرسمية لم تصل لحل لهذه القضايا فبالطبع لن يصل الأدب إلى شئ لأنها ليست قضاياه ، فالأدب ليس تسجيلا لنشاط المؤسسات الرسمية ، وأدب الأطفال يخاطب الأطفال ليغيروا من سلوكهم ، وبالطبع هذه المشكلات لم تنتج عن سلوك الأطفال .

أما الإطار العام الذي يفضل الكتابة فيه فهو إعادة صياغة الحكايات الشعبية ، ومن المعروف أن هناك محاذير في إعادة صياغة مثل هذه الحكايات حتى لا يفسد جوهرها ، كما

فعلت إحدى الكاتبات في حكاية الأرنب الذكي الذي أنقذ الأرانب من بطش الأسد ، قامت الكاتبة بإضافة" أن الأرانب اختاروا الأرنب الصغير ملكا عليهم لذكائه "، وردت عليها طفلة في إحدى الندوات ، وهل يصلح الأرنب الصغير عديم الخبرة ليكون ملكا ؟

كاتبة أخرى ترى أن الهدف من الكتابة للأطفال " أخلاقي " ، فهي تقوم بغرس بعض القيم والمعاني في نفوس الأطفال ، وأن الكتابة للأطفال في قصصهم محاولة لغرس قيم ومبادئ كثيرا ما نحاول البحث عنها بين الشباب ولا نجدها . وكان الشباب هم مصادرها ومالا تجده بين الشباب تحاول أن تغرسه في الأطفال ، وكأن الاحتياجات واحده .

أما مصادرها فتأتى من الأفكار التي تلح عليها من قراءتها ، دون الاهتمام بتصنيف ما تكتبه لمرحلة عمريه معينة ." بصرف النظر عن خصوصية كل مرحلة".

كاتب آخر يؤكد على أن الكتابة لمرحلة الطفولة ليست بالصعوبة التي يتحدث عنها البعض، فعن طريق تقمص هذه المرحلة العمرية والإلمام بخصائصها يسهل الموضوع .

نوع آخر من الكتاب يتصور أنه المنقذ للفقر الذي يعانى منه سوق الإبداع الأدبي للطفولة ، ويقر أصحاب هذا النوع أنهم لجأوا الى الكتابة للطفل ، لإيمانهم بأن الطفل في حاجة لكل الحب وبذل الجهد للرقى به إلى أعلى المناصب ، وتحدد كاتبة أطفال أهدافها من الكتابة إلى :

- تقويم مواهب الطفل ، وإبرازها بما يشجع الطفل ليكون طفل فعال مع المجتمع .
- أن نعرفه على الحكام السابقين ، وأساليب حكم البلاد والعوامل التي تساعد على ذلك وربطها بالأساطير .

أما مصادرها فتأتى من الواقع والتاريخ والأساطير ثم الربط بينها ، وتبسيطها للأطفال .

هذا بجانب الموضوعات التي تستلهما من وحي الخيال وإحساسها بأهميتها للأطفال . وتفضل الكتابة للأطفال من الثالثة حتى السابعة عشر .

أحد الكتاب المنقذين يقرر صراحة بأنه لا يوجد كتاب أطفال أقوياء ، ولا يوجد فكر ، وتوجد مجالات لم يتطرق إليها أحد من أدباء الأطفال .أما هدفه من الكتابة ، فهو هدف سياسي

وشخصي ، فكل إحساس جميل يحسه يفضل نقله للأطفال من خلال قصة أو حكاية أو كتاب معرفي أو أخلاقي .أما مصادره المعرفية فهي البيئة والمجتمع والتراث والحضارة العالمية والأخلاق والدين والعائلة .

كاتب آخر يذكر إن حرمانه في الطفولة كان السبب في كتاباته للأطفال ، وفى إتجاهه إلى مساعدة الأطفال على تغيير العالم من حولهم إلى الأجمل والأفضل ،كما أنه في كتاباته، يتأثر بخبراته وسيرته الذاتية ، وموضوعه الإنسان بأفراحه واتراحه ، وأن البسمة على شفتيه مجرد ديكور تخفى ورائها حزنا دفينا .

هذا هو الواقع الإبداعي الذي يحدده كتاب الأطفال في مصر ، يكتبون عن طفولتهم ، عن أحاسيسهم ، وما يشعرون هم بأهميته للأطفال ، وبأنه يمكن إسعادهم به ، يكتبون عن كل المراحل العمرية ، ولكل المراحل العمرية ، دون معرفة حقيقية بأطفال اليوم ، يعودون بذاكراتهم او يتقمصون الطفولة ويكتبون ، ومصادرهم بالتالي ما ورثوه في طفولتهم من تراث شعبي ، لا يحافظون على جوهره ، وواقع محلى مختلف عن واقع طفولتهم، ويتعامل كل منهم باعتباره المنقذ لأدب الاطفال ، الذي مازال فقيرا مع كل الاهتمامات الحكومية التي تنصب على مؤسسات رسمية ، وبعض دور النشر المحظوظة ، كما يقول بعض الكتاب .

أما التحدي أو المعوقات التي تصادف حركة الإبداع للأطفال ،فيمكن مما سبق أن نرصدها فى جانبين ، جانب الكتاب أنفسهم ، والناشرون ، أما بالنسبة للكتاب ، تشكل عدم المعرفة الكاملة بالمراحل العمرية ،عائقا لتحديد هوية المنتج المبدع ، وخصوصياته ، أيضا عدم إدراكهم بالفروق الحضارية والثقافية التي يعايشها طفل اليوم ، عن تلك التي كانوا يعايشونها في طفولتهم ، فعالم طفل اليوم مختلف في تحدياته عن عالم الأمس ، هناك أيضا استعجال النشر والمكسب الذي يدفع معظم الكتاب إلى السرعة فيما يكتبون ، دون وعى كامل بالهدف الذي يسعون لتحقيقه .

أما بالنسبة للناشرين ، فتتمثل الإعاقة أو التحدي في سعى معظم الناشرون إلى الكسب المادي على حساب كفاءة الكتاب ، وعدم إيفاء الكتاب ما يستحقونه من اجر ، وحجتهم في ذلك، إلى ضعف القدرة الشرائية للكتاب ، وعدم دعم الحكومة لهم ، وصعوبة التوزيع في العالم

العربي والمشاركة في المعارض ، لصعوبات الجمارك والرقابة والمصاريف ،وأخيرا انتشار ألامية بين الآباء .

هناك معوقات أخرى قد ترجع للمسئولين عن الرعاية بالطفل تتمثل في نقص الوعي بالكتاب الفعلي الذي يحتاجه شكلا وموضوعا ، وأصبح شراء كتاب الأطفال ، نوعا من الالتزام والواجب الاجتماعي ، بصرف النظر عن جودته ومناسبته ، وقد يكون للبعض عذرهم في ذلك، لعدم اهتمام الناشرون أصلا بتحديد المرحلة العمرية ، لأن معظم الكتاب يفضلون أن يكتبوا لجميع المراحل العمرية.

هذه هي أهم ملامح الواقع في عالم الكتابة للأطفال في مصر ، والتي قد تبتعد قليلا أو كثيرا عما يجب أن يكون عليه أدب الاطفال ، وما يهدف إليه من تحقيق المتعة والتسلية تبعا لاحتياجات كل مرحلة عمرية . بجانب ما يحاول أن يقدمه لهم من خبرات ونماذج تساعدهم على التعامل مع العالم ، ويدركوا أنهم ليسوا وحدهم في العالم ، من خلال ما ينمى معرفتهم بالعالم والآخر ، قيمهم ، عادتهم ، ثقافتهم ، بجانب التأكيد لهم على أهمية التميز الثقافي لهم ، حتى يستطيعوا أن يتعاملوا مع العالم معاملة الند لا التابع ، اعتمادا على التميز الثقافي لكل الثقافات التي يجب أن تتكامل لا تتصارع .

ماذا يكتب الأطفال :

لو سلمنا جدلا أن الإنسان يبدع فيما يعرف ، ويتمثل من يتفاعل معهم من كبار المبدعين، فتكون كتابة الأطفال معيارا للمجالات التي ألفوها ، والإبداع محاكاة لما يعرفوه.

فى دراسة لمجموعة الأعمال التي اشترك بها عدد من الأطفال فى المسابقة الأولى في أدب الطفل ، التي نظمها مركز بحوث وتوثيق أدب الأطفال ، في القصة والشعر والمسرح والمقال ، نجد النتائج المرتبطة بإبداعات الأطفال في الأشكال الأدبية ، متواضعة ، فعلى الرغم من أن المسابقة قد أعلن عنها فى أغلب الصحف اليومية ، أرسلت دعوات المشاركة لعديد من المؤسسات التي بها تجمعات من الأطفال ، كانت معظم المشاركات من جهات معدودة بها مكتبات ، وكان الدافع الحقيقي للمشاركة فى رأيى ، نشاط بعض المكتبات الصيفي ، بدليل أن بعض الأطفال من المشاركين سبق حصولهم على جوائز في مسابقات مماثلة ، وكأنهم أصبحوا من محترفي المسابقات وإن كانت الأعمال أقل من المستوى الذي يبدو عليه هذا الاستنتاج .

المهم توزعت أعداد المشاركين في أعمال أدبية إلي :

- أربع نصوص مسرحية.

- ست نصوص شعرية.

وثمان وثلاثون قصة وتدل هذه النتيجة على ضعف الإقبال على قراءة الشعر أو المسرح، يؤكد هذا نتيجة الدراسة الثالثة ، كما سنعرف بعد . أما بالنسبة لأعمار المتسابقين في القصة فقد كانت بمتوسط للاعمار من ٩- ١٢ عام

العمر/العدد	اقل من عشر سنوات	١٠- ١٥	اكثر من خمسة عشر سنة
	١٧	٢٠	١

أما الإبداعات القصصية ، فيوضح الجدول التالي توزيعها تبعا للموضوع والشخصيات :

الموضوع/ الشخصية	علمي	خيالي	مغامرات	واقعي أخلاقي	خيال علمي	وطني
حيوان	٦			٣	١	
خوارق	٥		٢			
بشرى	٢	٢		١٢		٥
ج=٣٨	١٣	٢	٢	١٥	١	٥

بالنظر إلى هذا الجدول نرى أن أهم الكتابات التي يعرفها الأطفال ، هي تلك التي تدور في الجانب الأخلاقي التربوي ، (٣٩,٥٪) تقريبا يليها القصص التي تقدم معلومات علمية (٣٠ ٪ تقريبا) ثم القصص الوطني (١٪) تقريبا والخيال العلمي والخيالي لا يذكر .

نفهم من هذا ان ما يكتب للأطفال لا يشبع كافة مجالات المعرفة ، خاصة العلمية والخيالية وان الكتابة للطفل مازلت تدور في فلك حكايات الحيوان والحكايات المستلهمة من

الحكايات الشعبية خاصة حكايات الخوارق .أما الحكايات الوطنية فمعظمها (٣) تدور حول القضية الفلسطينية ، والسلام ، وهما إتجاه رسمي تعقد له العديد من المسابقات . نخلص مما سبق الى :

١- معظم ما يعرفه الأطفال من قصص هو الأخلاقي التربوي ، وقصص الحيوان .

٢- أن الأطفال لا تقرأ كثيرا في المسرح أو الشعر.

٣- أن هناك عزوفا من الأطفال في المنازل عن القراءة وإلا كانت إسهاماتهم الإبداعية قد ظهرت .

٤- أن إتجاه الأسر نحو القراءة ضعيفا ، وقد حلت مكان الأسرة لتشجيع القراءة المكتبات التي تفتقر إلى التزويد بكتب حول موضوعات بعيدة عن الأخلاق وحكايات الحيوان ، مثل الخيال العلمي والفنتازيا ، تلك الكتب التي تنمى الخيال والتفكير الناقد الذي نسعى لتنميته بين أطفالنا . يؤكد ذلك شكوى بعض أمينات المكتبات من أن رواد المكتبات من الأطفال تجذبهم الأنشطة الفنية والتشكيلية ، والإنترنت ، أكثر من القراءة ، وأن البعض يشترط على الأطفال القراءة أولا قبل التعامل مع الإنترنت وكأن القراءة هي عقاب ، وهذا جانب من الترهيب.

<u>ماذا يقول الأطفال</u> :

في مسابقة أعدها اتحاد كتاب مصر ضمن فعاليات مؤتمر أدب الأطفال (الواقع والمستقبل) في أكتوبر ٢٠٠٧ ، وكانت بعنوان " الناقد الصغير " اشترك حوالي أربعون ناقد صغيرا ، بعرض أرائهم حول ما يقرأ ونه ، واعتقد أن هذه المقالات تعتبر محكا جيدا يمكن من خلاله الحكم على ما يقرأ الأطفال ورؤيتهم تجاه ما يقرأ ونه ، بجانب ما قد تشير اليه لملامح المناخ العام الذي يعيشه الأطفال وكيف ينظر الى القراءة ، سواء أكان مناخا أسريا أو مدرسيا أو رسمي . ويمكن أن نصنف الملاحظات التي نستخلصها من الأوراق النقدية ، إلى ملاحظات عامة وملاحظات خاصة :

الملاحظات العامة :

١- لم يتعرف الأطفال جيدا على مفهوم النقد ، لذلك جاءت معظم الآراء انطباعية ، أو تلخيص للأعمال التي قرؤوها .

٢- مع فرض أن هؤلاء الأطفال من أفضل رواد المكتبات التي شاركت بهم في المسابقة ، إلا أن الملاحظة العامة على المقالات ، تضمنها العديد من الأخطاء الإملائية والنحوية ، بجانب ضعف الأسلوب ، مع الاعتبار ان مراحلهم السنية متقدمة نوعا ما (متوسط ١٤ عام). مما يعطى مؤشرا لعدم مصداقية عمليات القراءة أصلا .

٣- تنوعت الأعمال محل النقد إلى ، القصص الأخلاقي والسير الذاتية والقصص العلمي ولم يأخذ الشعر حقه(١) أو التاريخ(١) أو قصص الفانتازيا . مما يشير أيضا إلى محدودية مجالات القراءة .

ملاحظات خاصة : وهى الملاحظات التي تنصب على الإبداعات المقروءة.

١- اعترض البعض على وجود أكثر من حبكة في بعض الأعمال القصصية الأمر الذي قد يفسد المتعة من القراءة"وتوالت الأحداث بعد ذلك ببطء شديد ، حتى تشعبت إلى موضوعات غير موضوع القصة ، هناك بعض الأحداث التي لا تفيد القارىء في فهم موضوع القصة ، بل هي تشتت الذهن وتجعله غير قادر على استيعاب معنى القصة ...الأحداث لم تكن مترابطة ببعضها حتى يتم النسيج الكامل للقصة ."

٢- كما حدد البعض شروط الكتاب الجيد الذى يطالبون به بالقول :"وهو العنوان الجيد ، الرسوم ذات الألوان الزاهية ، الورق ابيض لامع ، والكلمات بخط واضح ، " "والاهتمام بالصور خاصة في الكتب التاريخية التي تتحدث عن وقائع وشخصيات تاريخية" (٩سنوات) ومع ذلك نجد أن معظم الناشرين والكتاب الذين يعرفون هذا بالضرورة ، ولا يلتزمون به ، بدعوى التكلفة .

٣- هناك اتجاه بين الأطفال لقراءة القصص الديني ، وتلك التي توثق السلوك الحميد بآيات من القران الكريم ،لتوضيح بعض المعاني " تمسك الإنسان بدينه وحسن الخلق ، ووجود

كثير من النصح والمعاني الجميل' "" يجب أن تكون كل أعمال الأطفال صحيحة وجميلة لا يفعلون الخطأ "

هذا الاتجاه انعكاسا لاتجاه معظم الأسر اليوم للقراءة الدينية ، وتصور الإنسان الكامل المثالي ، وهى نظرة غير واقعية للأمور ، وتبعد الإنسان عن واقعة ، وان كان هذا الاتجاه معتدلا نوعا ما ، إلا أن هناك اتجاه أكثر تشددا ، يظهر في نقد أحد الأطفال للقصص الفكاهية ، خاصة نوادر جحا ، (٨سنوات) حيث يقول " أنا في عصرنا هذا نحتاج إلى الجد أكثر من الفرفشة ، فهذه القصة تضحكنا ، وتضيع وقتنا كثير بدون فائدة ، ويستخدمها عامة الناس استخدام خاطىء ". وهذا الرأي انعكاسا على التشدد في رفض قراءة بعض الموضوعات ، وشيوعه بين كثير من الأسر والمعلمين في كثير من الأحيان ، فالقراءة مضيعة للوقت والأخلاق ، خاصة في ظل نظام تعليم يعتمد كدوري كرة القدم على النقاط أو الدرجات ، فيجب أن يكرس الطفل كل وقته في التحصيل الدراسي لجمع مزيدا من النقاط ، حتى ولو حساب تكوين شخصيته .

من جانب آخر الإتجاه نحو الاتكال على الدين واعتبار أن الدين ركيزة اى نجاح أو إنجاز، وان التشبه بقيم الصالحين هو غاية المراد .

٤- في نفس السياق نرى اتجاها آخر نحو رفض الثقافات الأخرى يتمثل في مقالة تعترض على الكتب التي تقدم عظماء الغرب ، بالقول " بدلا من الاهتمام بعظماء الغرب أتمنى صدور كتب وقصص تتناول حياة عظماء مصر فأنا لا اعلم الكثير عنهم ، سوى أنهم علماء ودكاترة ، سافروا للخارج لينالوا حظهم من العلم ، "(١٢ عاما).

٥- كما أن هناك من يعترض على القصص التاريخية " كان المفروض أن يكتب عن حرب ٦٧ بدلا من ٤٨ ".

٦- يرى بعض الأطفال أن القراءة لوحدها لا تكفى ، بل يجب أن يعقب كل قصة عدد من الأنشطة "عمل فوازير في نهاية القصة ، مثل – ترتيب الأحداث- ترتيب أجزاء الصور الخ وذلك لقياس مدى استيعاب الطفل للمعلومات الموجودة فى الكتاب .

٧- وقد اعترض البعض على بعض قصص الفنتازيا التي تعتمد على الرمز بشكل كبير ، مما يصعب من فهم القصة " انه عالم جديد لم نره ولم نسمع به من قبل انه عالم المؤلفة أولا التي وضعت له المعايير وليس ما وراء العالم من فكرة " وفى نفس السياق اعترض البعض على الأسماء التي يختارها الكتاب " أما عن دوم (بطل القصة) فأرى أن اسمه مزعج قليلا فكان على أبويه أن يختارا اسما آخر له" .

٨- الاهتمام بالصدق العلمي للموضوعات والمعلومات " يجب ألا نطرح اعتقاداتنا التي من المؤكد أنها خاطئه حتى لا تؤثر على اعتقادات أخرى من المؤكد أنها صحيحة " وذلك نقدا لقصة يدعى الكاتب لها أن الفراعنة بنوا الأهرام بواسطة السحر ، وان الفراعنة ليسوا من البشر ، وأنهم هبطوا على الأرض من مكان ما وراء الشمس .

٩- كما اعترض البعض على كم التشاؤم الذي يحيط بالقصص التي تتحدث عن تلويث البيئة " لم يعجبني تلك النظرة التشاؤمية التي يتحدث بها وكل هذا جعلني أفكر وأقول ماذا سيحدث غدا "(١٣عاما).

في النهاية أعتقد أن الدراسات الثلاث السابقة قد أجابت ، عن الأسئلة المطروحة في المقدمة والتي تدور في فلك أسباب عزوف الأطفال عن القراءة ، لافتقارهم إلى كثير من الإبداعات الجيدة التي تدور حول اهتماماتهم ، وتتجاوز المألوف من القصص ، والموضوعات إلى موضوعات أكثر معاصرة ، تجيب لهم عن تساؤلاتهم الكونية ، والاهتمام بأشكال أبداعية جديدة علينا ، مع إنها تغزو العالم كالخيال العلمي والفنتازيا .

أيضا توضح المناخ العام الذي يحيط بالأطفال ، ويشكل ترهيبا في القراءة ، كتاب لا يعرفون تماما لمن يكتبون ، وناشرون يقتصدوا فى التكاليف ، ليس الكل بالضرورة ، ومكتبات تساوم وتقايض في اهتمامات الأطفال ، مع غياب البديل .

ومناخ أسرى ومدرسي لا يعترف بالقراءة ، وهى بالنسبة له مضيعة للوقت ، وإن اختلفت عن إصلاح الأخلاق فهي مفسدة ، واهتمام رسمي بالقراءة غير كاف ،هذه جوانب الترهيب التي تم استقراؤها من الدراسات السابقة .

أما التحفيز على القراءة ، فيمكن أيضا استخلاصه مما سبق ، لو عرف الكاتب لمن يكتب، وحدد كتاباته بجمهور يكتب له ما يهمه وما يشبع احتياجاته الفعلية ويساهم في بنائه بشكل سوى ، لو استطاعت حركة النشر بشكل عام على تجاوز الحسابات الاقتصادية وقدمت السلعة الجيدة ، لو تكاتفت أجهزة الإعلام وخصصت مساحة لنشر أدب الأطفال ، وتفسيره ، وإقامة المسابقات ، والندوات ، وخصصت مساحات للنقد والتوظيف الجيد ، ولو أعادت المؤسسات التعليميه لساعات القراءة الحرة ،مكانها في الجدول الدراسي ، ولو آمن المعلم والوالدين أن القراءة الحرة تساعد على تنمية الأطفال عقليا ونفسيا ومعرفيا وان لابد يل عنها بأي مقرر دراسي ، وان يعاد النظر في أسلوب التعليم بالنقط إلى التعليم بالكفاءة ، لعاد للقراءة أهميتها .

والله الموفق

ا.د كمال الدين حسين